ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (5650) السنة الحادية والعشرون - الاثنين (15) نيسان 2024

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

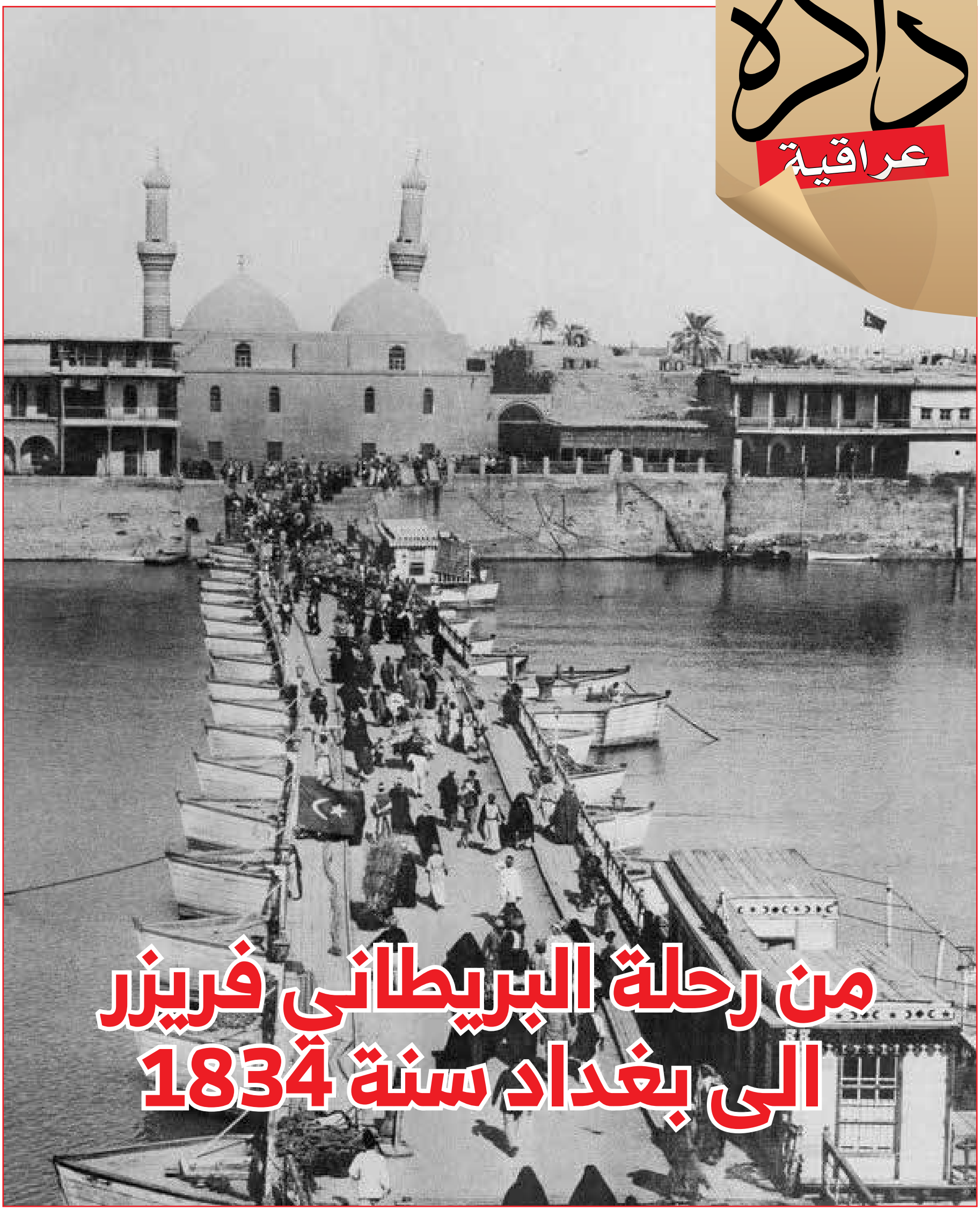

من رحلة البريطاني فريزر الى بغداد سنة 1834

ذكريات المصور (جان) مع عبد الكريم قاسم

الأرمن أول من أدخل التصوير الفوتوغرافي للعراق..

معد فياض

كان هناك واحدا من اهم ستوديوهات التصوير الفوتغرافي في منطقة حافظ القاضي، او ساحة الوثبة، قرب جسر الاحرار في شارع الرشيد، بجانب الرصافة من بغداد، هذا الشارع الذي أضحى وقتذاك القلب التجاري والحضاري للعاصمة العراقية، حمل هذا الاستوديو اسم "ستوديو بابل" للمصور الارمني جان هوفانيس كريكور جوكاسزيان.

فقد أدخل الأرمن سحر التصوير الضوئي وحتى السينمائي إلى العراق، وإلى جانب جان كان هناك المصور الصحافي الرائد أمري سليم لوسينيان شيخ المصورين الصحافيين العراقيين الذي صور ملوك وزعماء العراق وجزءا كبيرا من أرشيف تاريخ العراق، والمصور الفوتوغرافي المعروف أرشاك (صاحب استوديو أرشاك)، ومصور الآثار كوفاديس ماركاريان.

ولو نشاهد غالبية الافلام السينمائية الاخبارية التي وثقت العهد الملكي و الكلية العسكرية الملكية و الفعاليات الثقافية والرياضية لوجدناها قد التقطت بعدسات المورين الارمن.

جان صديق الرؤساء

وحسب الموثق العراقي ضياء الشيخلي فان: "جان لبناني من أصل ارمني، و من مواليد تركيا سنة ١٩١٤ هاجر مع عائلته الى لبنان وتدرب في شبابه على يد مشاهير فن التصوير في تركيا و بيروت ابتداء من سنة ١٩٣٢، وفي سنة ١٩٣٦سافر الى باريس للتدريب العملي و الفني وبعد عودته من باريس قدم الى بغداد و اقام فيها منذ سنة ١٩٣٧.

وكان متزوجا من طبيبة ارمنية لبنانية كان قد تعرف عليها في بيروت وقدمت الى العراق فعملت في ميدان الطب في العراق، مضيفاً أنه بعد مرور أقل من عام على وجوده في بغداد افتتح ستوديو للتصوير في شارع الرشيد سماه (ستوديو بابل) وذلك في سنة ١٩٣٨، عندها بدأت شهرته تزداد الى أن تم اعتماده مصورا خاصا للحكومة العراقية في عهد الزعيم عبدالكريم قاسم سنة ١٩٥٨، بعدها أصبحت تربطه علاقات متميزة مع الرؤساء بدءا من الزعيم قاسم.

وأوضح أن "اسم المصور (جان) يبقى متألقا باعتباره المصور الخاص للرؤساء في العراق".

الملك وعده.. ولكن

يكتب الموثق ضياء الشيخلي، الذي أنشأ صفحته على الفيسبوك "أول صفحة شخصية تختص بالتوثيق الصوري لتاريخ العراق، بعيدة عن التوجهات السياسية"، قائلا: "أن الحظ لم يحالف المصور جان بتصوير ملوك العراق أو العائلة المالكة، بالرغم من المحاولات المتكررة التي قام بها، ولكن ذلك لا يعني انه لم يكن على اتصال

بالعائلة المالكة وبعض الشخصيات المهمة في تلك الفترة".

وأضاف: "مما ذكره المصور (جان) في مذكراته، أن الملك فيصل الثاني كان قد وعده خلال لقاء جمعه به بتصوير حفل زفافه من خطيبته التركية (فاضلة)، ولكن مشيئة الله شاءت أن لا يتم الزواج بسبب الأنقلاب العسكري الذي أطاح بالملكية يوم ١٤ تموز ١٩٥٨".

وورد في مذكراته، حسب ما يذكره الشيخلي: "أن السيدة (هيام) أبنة أمير ربيعة كانت من زبائنه قبل زواجها من الوصي عبدالآله وقد سأل الامير عبد الاله هيام ذات يوم عن الصورة الجميلة التي التقطت قبل زواجها فأجابته انها بعدسة مصور بابل.

وكان من زبائن ستوديو بابل في العهد الملكي كل من: رشيد عالي الكيلاني ورفيق عارف رئيس اركان الجيش الاسبق، منذ أن كانا ضابطين برتبة صغيرة، كذلك تعرف جان على رئيس الوزراء نوري السعيد والتقى به في عدد من المناسبات، ووعده الباشا بزيارة الى محله لالتقاط صورة ولم يتحقق ذلك، وكرر جان الطلب ولم تتحقق رغبته، يعزيها الى كثرة مشاغل الباشا.

ولكن مرافقه (وصفي طاهر) كان من زبائنه منذ أن كان تلميذا في الكلية العسكرية وكان وصفي يفضله على عمه عبدالرحمن صاحب استوديو الأهلي، واستمرت العلاقه معه إلى ما بعد ان اصبح مرافقا لعبد الكريم قاسم ١٩٥٨.

الصورة الأولى للزعيم قاسم

كانت أولى الصور الرسمية لرئيس وزراء اول حكومة في العهد الجمهوري،عبد الكريم قاسم ورؤساء الجمهورية: عبد السلام وعبد الرحمن عارف وأحمد حسن البكر وصدام حسين، قد حملت توقيع استوديو (بابل)، وقد بقي مجد هذا المصور متألقا حتى نهاية الثمانينات عندما افتتح له فرعا آخر أكبر وأكثر فخامة من الأول بكثير في الطابق الأرضي من بناية الاتصالات في منطقة السنك ليس بعيدا عن موقع الاستوديو الاول في شارع الرشيد.

ذات يوم من شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٢ جمعني لقاء صحافي مع المصور جان، وكان يضع في الواجهة الزجاجية لصالة العرض صورة كبيرة لصدام حسين، وسألته عن صور باقي الملوك والرؤساء، فقال: "أنا أتمنى أن أعرض كل الصور، بما فيها صورة عبد الكريم قاسم لأنه كان صديقي، لكنني كما تعرف الظروف لا أستطيع فعل ذلك".

ومثل حكّاء محترف، راح جان يقص علي بعربية مشوبة بمفردات أرمنية عن "ضابط عسكري متواضع، لكنه كان قلقا باستمرار، كان يزورني في محلي القديم، القريب من بار ومطعم (شريف وحداد)، نشرب الشاي ونتبادل الأحاديث، وذات يوم نظر هذا الضابط، بعينين مفتوحتين على سعتهما، إلى شخصيات مهمة في العهد الملكي، وقال: (قريبا سوف تلتقط لي صورة مماثلة لهذه)، فعبّرت له عن استعدادي لالتقاط صورة له الآن إذا كان يريد، لكن الضابط أجاب بقوله: (لا، ليس الآن، بل عندما أصير رئيسا للعراق)". وترك جان وسط أسئلته وحيرته لتفسير

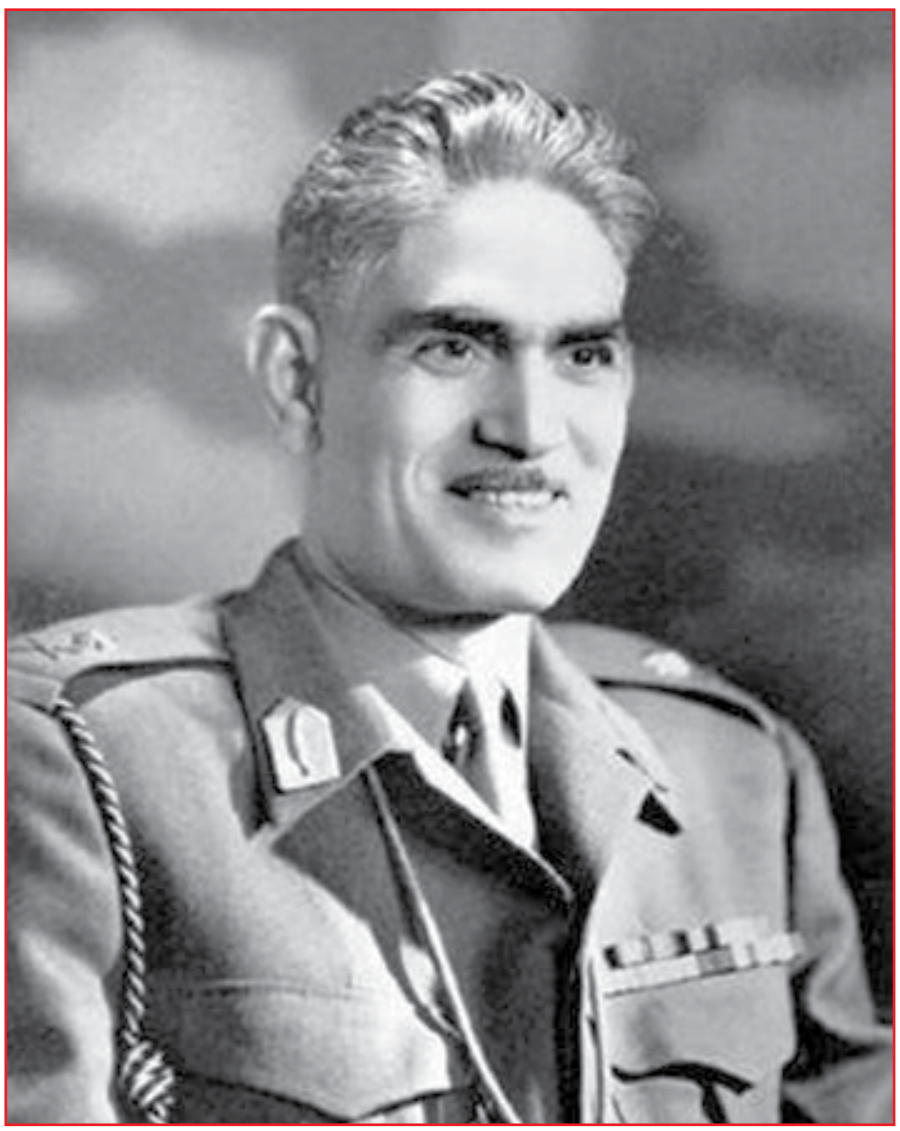

ما يعنيه هذا الضابط العسكري.

بعد ايام قليلة من انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨، توقفت سيارة عسكرية اما باب ستويو بابل وطلب احد العسكريين من جان ان يرافقه مع كاميرته وبقية معدات التصوير، وعندا استفهم جان عن الجهة التي سيذهبون اليها جاءه الرد: تعال معنا بلا اية اسئلة، وهذا ماكان.

يستطرد جان قائلا: "قطعت السيارة العسكرية شارع الرشيد باتجاه منطقة الميدان ثم انعطفت يسارا لندخل الى بناية وزارة الدفاع..في الطريق ابلغني العسكري الذي رافقته بانني سأصور شخصية عسكرية مهمة، ثم قادني الى مكتب لاجد نفسي امام الزعيم عبد الكريم قاسم الذي أوفى بوعده لاكون اول من يلتقط له صور رسمية عندما يكون رئيسا للعراق".

وأردف: "واجهني قاسم بابتسامة المنتصر ورحب بي كثيرا، وقال لي: (ها جان، شفت اشلون صرت رئيس العراق وانت أول واحد راح تاخذ لي صورة)".

مصور الرؤساء

يستطرد الموثق الشيخلي قائلا: "كَبُر أسم ستوديو بابل واشتهر فأخذ عدد من المسؤولين والشخصيات السياسية والضباط يزورونه لأخذ صور توثق مراحل عمرية وترقية أو لغرض معاملات حكومية فارتبط جان مع البعض منهم بصداقات حميمة، منهم خمسة من الرؤساء تعاقبوا على حكم العراق منذ عام ١٩٥٨، ابتدأت علاقته كمصور رسمي خاص للزعيم عبدالكريم قاسم بعد فوزه من بين عشرة متسابقين من كبار المصورين بينهم: عبوش، وأرشاك، وانطرانيك وغيرهم، وكانت المسابقة لاختيار صورة رسمية للزعيم عبدالكريم، وسبب فوزه كان في اخفاء آثار جرح قديم في وجه عبد الكريم قاسم وبالتحديد على شفته مستخدما تكنيك فني في وضعية خاصة امام العدسة والانارة مع رتوش فنية".

وأضاف أن "علاقة المصور جان مع عبدالكريم قاسم قديمة تعود الى الأربعينات، فقد كان قاسم كثير التردد على استوديو بابل منذ أن كان برتبة ملازم أول في بداية الأربعينات وذلك لأن الكثير من ضباط الجيش كانوا يلتقطون الصور بمناسبة ترقيتهم، فاعتادوا التردد على ستوديو بابل بمثل هذه المناسبات وكان عبد الكريم أحدهم".

وينقل الشيخلي عن رأي جان بعبد الكريم قاسم من الناحية الفنية فيقول: "أن أكثر ما كان يدهشني كمصورهو اناقة عبدالكريم ورشاقة جسمه"، مضيفاً "لم أره مرة الا وملابسه العسكرية مرتبة وكأنها خرجت توا من المكوى مما يدل على انه كان يستبدل ملابسه أكثر من مرة في اليوم الواحد.. وكانت آخر صور التقطها جان لعبد الكريم قاسم قبل أقل من اسبوع من الاطاحة به في ٨ شباط ١٩٦٣، وكان قد رقي الى رتبة فريق ركن ولكنه لم يطلع عليها".

موقع قناة (راداو)

من رحلة البريطاني فريزر الى بغداد سنة 1834

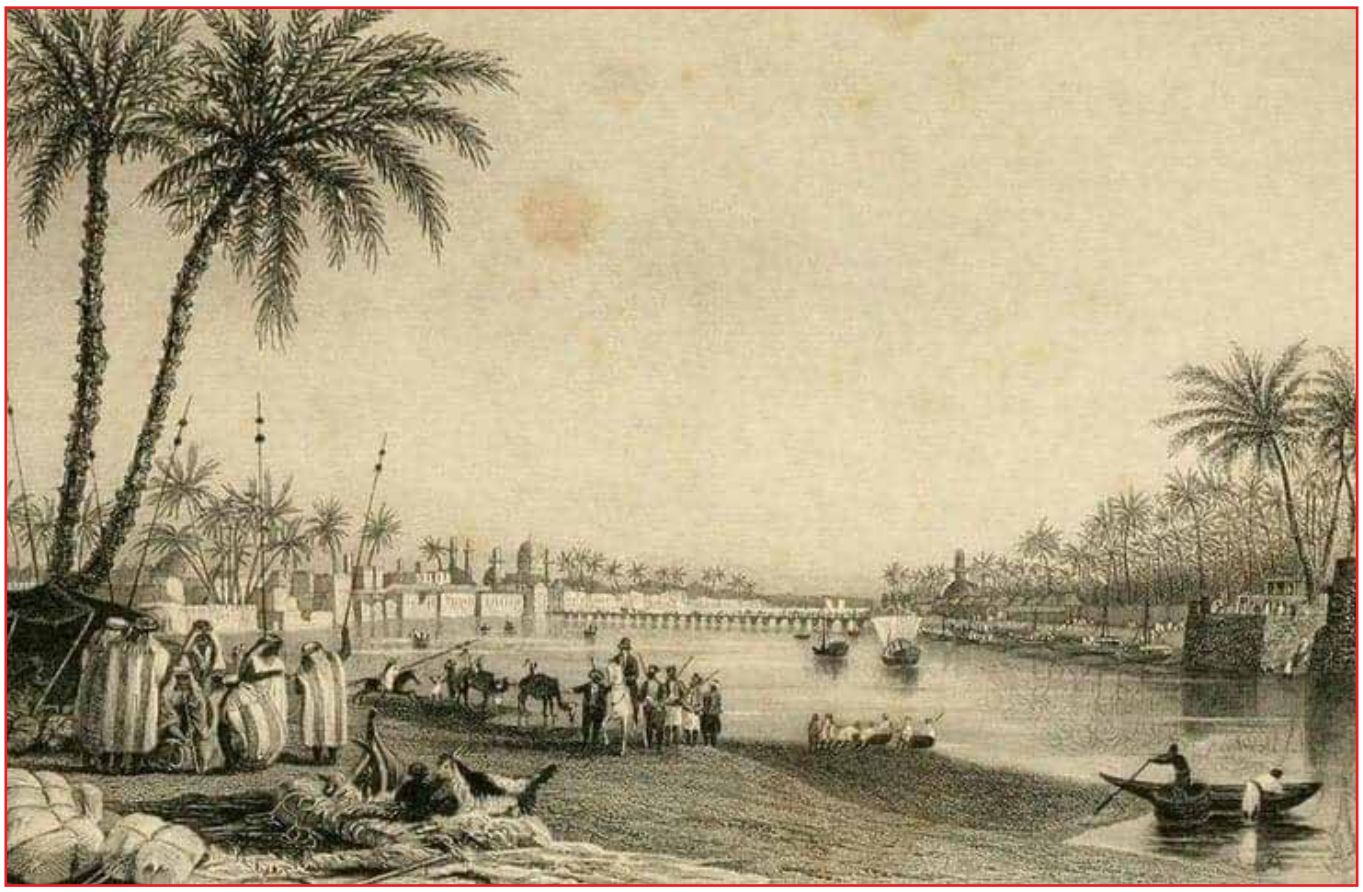

ترجمة: جعفر الخياط

بغداد- 13 تشرين الثاني 1834 م

هـا قـد وصـلنا أخـيرا يـا عزيزتـي- إلى مدينـة بغـداد العظيمـة، عاصـمة الخلفاء- عاصـمة هارون الرشـيد و زبيدته الجميلة- و مقر جعفر البرمكي، و مسرور رئيس الخصـيان، و جميـع الرجـال مثـل أبـي الحسـن و علي خوجة، و السـيدات و الحمالين، و المغتونين و المغتونات الذيـن تتحدث عنهم "ألف ليلة و ليلة". فوا أسـفاه، كيف عفـا عليهـا الزمـن. لكننـا لنتمهـل قليـلا و لا نتحدث عن الأشياء قبل أو انها.

في طريقنـا إلى مسـكن الباليـوز أو المقيـم، كان كافيـا لإنقاذنـا مـن لجاجتهم و إلحافهـم. لكن تخليص أنفسـنا مـن زحمة البغال و القافلة لم يكن سـهلا، فاسـتغرق وقتا أكـثر مما كان يتحمله جزعي و قلة صـبري. على أننا في النهايـة تمكنـا من العبور بشـق الأنفس، و حصـلنا على دليل يوصلنا إلى دار المقيمية.

و بعد سـياحة طويلة عبر الأزقة و الأسـواق، كانت مملة بالنسـبة إلينا، وصـلنا إلى مبتغانا. و قد عرفت بهزة من الفرح السـ□اه الهنود الذين كانـوا يرابطون في الباب- لقـد كانـوا كأنهـم أصـدقاء قديمـون في بـلاد غريبة- و بعـد خمـس دقائـق كنت جالسـا علـى مائـدة الفطور مع الكولونيـل تايلـور (٢)، بكل مسـليات الترحيب الحار و الفطـور الشـهي لتحيتـي و إنعاشـي. و لا أراني بحاجة للقول بأن بقية اليوم قد تقضـت بأطرف الحديث و أكثره متعـة مع الأصـدقاء الذيـن اجتمعت بهم، فقـد كان عندنا كثـير مما يجـب أن نقف عليـه و نقوله. غير أنـه لما كانت هـذه الأخبـار لا يمكـن أن تحظى عندكم بنفـس الاهتمام الذي تحظى به عندي سـوف أكفيكـم مؤونتها في الوقت الحاضـر، و أسـتودعكم إلى تلـك الراحـة الهنيئـة التـي تقصر عن زيارة و سادتي هذه الليلة.

أمـا حالتـي فلـم تكـن تتحمـل الانهمـاك الطويـل. إذ لا يـزال هنـاك الكثير ممـا يجـب أن أجتـازه، و لا يمكن إلا تخصـيص قليل من الوقت لمشاهدة المناظر أو التمعن في الأشـياء الغريبـة. و مـع ذلك فها هو دجلـة الخالد يجري من تحت شـباكنا، و يعج بالزوارق و الأكلاك، و يمتد من فوقه جسـر الزوارق المعروف الذي يوصـل بين ضفتيه، و ترتفـع مـن حولنـا منائر الجوامـع و قبابهـا، و مراقد القديسـين و الأوليـاء، و هـي تحدثنا عن الأيـام الغابرة حينما كانت بغداد عاصمة الإسلام و موئل قوته و منعته. و هـا هي بابل و سـلوقية و طاق كسـرى تقـع في مواقع قريبة منا، و تغص البلاد المحيطة بنا كلها بالأشياء المهمة التي تلفت النظر و تسـتدعي الاستكشاف. و لذلك أعددنا أنفسنا للاستفادة من وقتنا القصير بأحسن وجه، و بدأنا بجولاتنا.

فبالنسـبة للذيـن يأتون من إيران، و خاصـة الذين يكون قد أضـجرهم تعاقب الدمار و الخراب الذي أتعب عيوننا و أنهكهـا مـا رأيناه من آثـاره، يعتبر منظر بغـداد لأول وهلة منظرا بديعا يبعث على الانطباع الحسـن بالتأكيد. فللأسـوار أولا منظـر مهيـب يؤثـر في النفـس- فهـي مشـيدة بالآجر المحـروق بالنار، و مدعمة مـن كل زاوية بأبـراج مدورة لها فتحات (مزاغل) خاصـة للمدافع، بدلا من السـياج البسـيط المبني بالطين، المتهـدم على الدوام تقريبـا، الذي يحيـط بالمدن الإيرانيـة. و لا يعني هذا أن سور بغداد هو سور كامل، فالأمر ليس كذلك.

و إنما أتكلم عن مظهره الخارجي. و الأبواب أيضـا، فمع أنها متهدمة للغاية فإنها على وجه التأكيد أعظم من أبواب المدن الموجودة في البلاد المجاورة.

و حينما يدخل السـائح القادم من إيـران إلى المدينة فإنه علاوة على ذلك يبتهج بمنظر البيوت المبنية، مثل أسـوار المدينـة، بالآجر المفخـور التي ترتفـع في علوها إلى عدة طوابق. و مع أن عدد الشـبابيك المطلقة على الطريق غير كثـير بحال مـن الأحوال فـإن العين لا يزعجها اسـتمرار ذلك التعاقب الكريه من الكتـل الطينية الحقيرة الواطئة،

المتداعيـة، المتعرجة و غـير المنتظمة، التـي تحجزها عن بعضـها ممرات مترية موحلة لا تسـتحق حتى أن تسمى أزقة، مما يتكون منه القسم الأعظم من كل مدينة إيرانية. و لا ينكـر أن الشـوارع، حتى في هـذه المدينة، تكون في الغالـب عبارة عن أزقة ضـيقة غير مبلطـة، و موحلة في الشـتاء من دون شـك، لكـن المرء حينما يمـر راكبا فيها و خاصـة في المواسـم غـير الممطـرة يتأثر حتمـا بفكرة أن الجـدران المتينـة القائمـة علـى يمينـه و شـماله لا بد أن تحتـوي في داخلها علـى مسـاكن مريحـة جيـدة تقاوم الأحـوال الجويـة، بينمـا تؤيـد الأبـواب ذات الحجـم المناسب و القبضـات الحديد التي تحافظ على مدخلها ما يختلج في مخيلته من فكرة المتانة و الأمان. أما في إيران فالأمـر يكاد يكون بعكس ذلك، إذ تكون مداخل البيوت، و حتى بيوت الأشخاص المرموقين، أشبه بفتحات الكهوف أو المغـاور بـدلا مـن أن تكـون أبوابا لبيوت يـأوي إليها أناس من البشر.

و لا تعـدم شـوارع بغداد الفتحـات التي تسـمح بدخول النـور و الهـواء إليها.فليسـت الشـبابيك المطلقـة عليهـا كثـيرة فقط بـل توجد أيضـا شـرفات مطلة، أو شـبابيك بـارزة ، تخيم على الشـارع فتسـمح بدخول الضـوء إلى الغرف التـي يجلس فيها عادة عدد مـن الأتراك المتزمتين الذين يقضون الوقت بالتدخين.

و إذا كنت محظوظا فقد تجد نفسـك صـدفة هدفا لأشـعة نفـاذة توجهها إليـك مـن وراء المشبك (٢) نصـف المغلق زوجـان مـن العيون المشـرقة. و قـد ترى هـذه الأجنحة المعـدة للجلوس ممتـدة أحيانـا عـبر الشـارع لتتصـل بالبيـوت من الجانبين، فتضـفي بذلك تنوعـا مبهجا على طراز البناء و خاصـة حينما تشـاهد و هي نصف مظلمة بسـعف النخيل الذي يعلوها من ساحة الدار في الداخل.

و قـد كان هناك في الجو العام المتكوّن من التنوع البارز، و طـراز البناء، و الملابس الغريبة، و اختلاط الخضـرة، و خاصة سـعف النخيل، ما يعيد إلى الذهن، حينما ينظر إليه من وسـط الشـوارع الأكثر اسـتقامة ذكرى مشوشة عن بلاد أخرى أكثر

اشـتهارا في العـالم- بلاد عليها مسـحة مـا ديرا في جزر الهند الشرقية و الغربية أو ما أشبه- بلاد تولد في النفس مقـدارا من البهجة و الانشـراح يزيد، علـى كل حال، على المنظر الحقيقي الذي أراه أمامي.

هـذه هـي الانطباعات التـي تكوّنت لدي عمـا رأيته أثناء مـروري بالبلـدة، لكن ضـفاف النهـر كانت ترينـا منظرا مختلفـا تمام الاختـلاف و أكـثر جاذبية و جمـالا من كل ذلـك. فإن تدفـق نهر جليل معـروف يعد شـيئا طريفا في جميـع الأزمـان، لكنه حينمـا تكون ضـفافه مزدانة بخط طويـل من الأبنيـة المؤثرة في النفـس- إذا لم تكن جميلة تمـام الجمال- و مظللة ببسـاتين النخيـل وارفة الظلال، فضـلا عمـا يزيـد في رونقهـا مئات الـزوارق و ضـجيج الآلاف مـن الناس، و حينما يكـون مجراه قد مد من فوقه جسـر من الزوارق يعبر عليه سيل دائم التدفق من الناس و الخيـل و الجمـال و القوافـل، و حركة نقـل عظيمة من جميع الأنواع و الأشـكال، فإن اللمحة المتكونة من جميع هذا يصـعب عليها أن تقصر عن رسم صورة حية جدا في مخيلـة الرائي. و هذا بطبيعة الحـال هو المنظر الحقيقي لدجلـة حينما تنظر إليه من أية نقطة كانت على ضـفتيه، حيث تسـتطيع أن تحصـر في مدى رؤيتـك جميع الحيز الذي تشغله المدينة الحالية.

و لم تكـن النظرة الأولى التـي ألقيتها على دجلة تدل على ما كنـت أتوقعه على وجـه التأكيد: فلا يمكننـي أن أقول إننـي قد خـاب أملي تماما فيـه لكني كنت أتوقـع أن أرى نهرا أكثر عرضـا و اتسـاعا ممـا رأيت. علـى أنني أعتقد أنه أحسـن بعرضـه الحالي لأن العين تستطيع في الوقت الحاضـر أن تشرف على الجانبين بسهولة. أما جهة البلد المطلـة علـى النهر فقـد كانَ عجبي فيها مفعمـا بالبهجة و السـرور. فلم نجد فيهـا إلّا القليل من الجـدران العارية، لأن معظـم البيـوت لهـا عدد كبير مـن المشـابك (القيم) و الشرفات (الشناشيل) أو الشبابيك البارزة التي تطل على النهر. و بالقرب من الجسر جامع جميل بقبابه و منائره، و هـو منظـر يبعـث في النفـس السـرور و الارتياح). و هناك بوجه عام شموخ يسـتحق الاعتبارفي خط الأبنية المطلة على النهر من ضفته اليسرى، فيضفي تنوعا ظريفا علـى المنظر. و ليس الجانب الأيمن، أو الغربي، من النهر علـى مثل هذا الجمـال في طراز الأبنيـة و امتدادها، لكن بساتينه الواسـعة و نخيلـه المتشـابك المختلـط بالأبنية تسـبغ عليـه منظرا مبهجـا إذا ما نظـر إليه مـن الجانب الآخر المكتظ بالسكان.

• صـاحب هذه الرحلة المسـتر جيمس بيلي فريزر، الذي كتبها بجـز أين و سـماها "رحلات في كردسـتان و بـين النهرين" و هو رجل مهنته الكتابة، و قد قام برحلته في عام ١٨٣٤ م.

حادثة (نجيب باشا) الدموية في كربلاء سنة 1842م

د. سلمان هادي الطعمة

كانت كربلاء تشع منها روح معادية للمماليك وللأتراك على وجه العموم، ووصفت المدينة بأنها "بعيدة عن حكم الحكومة التركية تقريباً فقد ثارت كربلاء ثورة عنيفة في عام ١٨٢٠ ـ ١٨٢٣ وكان داود باشا قد عين فتح الله خان حاكماً لقصبة كربلاء ووضع في المدينة حامية مؤلفة من (٥٠٠) شخص، وتشير المصادر المحلية الى حدوث تمرد ضد الحاكم بسبب سوء سلوكه وعدم احترامه لقدسية المدينة واستخدامه القسوة في جباية الضرائب الامر الذي دفع الكربلائيين الى التآمر على الحاكم وقتله. وعين داود باشا بدلا عنه علي أفندي لكنه لم يستطع اعادة النظام وتطبيق سياسة الشدة التي عزم داود باشا على تطبيقها، فأبدل بسليمان أغا الذي أدت سياسته الى حدوث الخلاف بينه وبين السيد حسين نقيب كربلاء، فعزل أيضاً وعين بدله السيد عبد الوهاب محمد علي آل طعمة، ولكن الامور لم تستقر في المدينة، فقرر داود باشا ارسال قوة عسكرية لأعادة النظام واستحصال أموال الخزينة وحل التشكيلات العسكرية المحلية فحاصر المدينة عام ١٨٢٤ حتى اضطرت الى الاستسلام وتعهد أهلها بدفع الاموال وسميت هذه العملية العسكرية بـ "واقعة المناخور" نسبة الى قائد الجيش المملوكي سليمان ميراخور، وقد بالغت المصادر المحلية كثيراً في ذكر وقائع هذه العملية العسكرية وقوة أهل المدينة، بحيث قالت "كان الكربلائيون يملكون أربعة آلاف بندقية جيدة صالحة للاستعمال وثلاثين ألف بندقية رديئة غير صالحة للاستعمال.. وكان لديهم خمسة عشر طوب (مدفع).

حادثة نجيب باشا

في١٨٤٢ وصفت كربلاء في عهد الوالي العثماني نجيب باشا ومن سبقه بانها "شبه جمهورية – Aself governingseml – alien ARepublic فقد أراد علي باشا الذي ولي الحكم في العراق بعد داود باشا أن يؤكد سيادته على كربلاء ولجأ الى الحيلة دون القوة وتظاهر بأنه يود ان يؤدي الزيارة لقبر الحسين، ولكن أهل المدينة رفضوا ان يسمحوا له بذلك، وفضل علي رضا باشا اسناد حكم المدينة الى السيد عبد الوهاب محمد علي آل طعمة في المدينة التي ظلت مدة حكم علي رضا باشا في العراق شبه مستقلة، ولكن تحت سيرطة جماعة مسلحة أطلق عليها اسم "يارمز" أخذت تعتدي أملاك وأرواح الاهالي فتكبد أهالي كربلاء أشد أنواع الخسائر المادية والارهاق العصبي، وفاق نفوذ اليارمز رجال الدين في المدينة.

لم يسكت نجيب باشا على ترك كربلاء تحكم نفسها بنفسها وتجني ثمار الفوضى القاتلة وخاصة عندما ابدى رغبته لزيارة المدينة وحدد له أولو الأمر في المدينة عدد مرافقيه بستة أشخاص فقط بالاضافة الى انهم رفضوا رغبة نجيب في أن يمدوه بتموين لجشيه في سنة ١٨٤٢م.

وفي ايلول ١٨٤٢ كان نجيب باشا على رأس جيشه في منطقة المسيب لقمع العشائر الثائرة، فانتهز الفرصة واتصل بزعماء كربلاء طالباً مساعدته في اعادة النظام، فاتفقوا معه على ارسال حامية عثمانية تعدادها (٥٠٠) جندي، الا ان الاتفاقية سرعان ما مزقت واستعد اليارمز والاهالي والقبائل الساكنة قرب المدينة للدفاع عنها. وكان في مقدمتهم السيد عبد الوهاب الطعمة حاكم المدينة وسادن الروضتين والسيد ابراهيم الزعفراني والسيد صالح الداماد والسادة آل نصر الله والسيد حسين النقيب وعلي كشمش وطعمة العيد.

أدى نقض الاتفاق الى اصرار نجيب باشا على اخضاع المدينة، وقبل أن يضرب نجيب ضربته الأخيرة عقد مباحثات مع القنصلين الفرنسي والبريطاني والوكيل الفارسي واخطرهم مقدماً بمشروع حملته لما كان يتوقعه من نشوب أزمة سياسية بين الدولتين الفارسية والعثمانية ثم حشد قوات المرابطة في المسيب بالاضافة الى قوات جلبت من بغداد. وبعد ان أتم نجيب اجراءاته الدبلوماسية والعسكرية اصدر أوامره بمهاجمة المدينة بكتيبة من الفرسان وعشرين مدفعاً وثلاث كتائب من المشاة وقد حاول أهالي المدينة اقناع قائد القوة سعد الله باشا بالمفاوضة، وعرض عليه السيد كاظم الرشتي ان يأخذ عائلات زعماء اليارمز كرهينة حتى ينسحب الجيش لكن القائد أصر على استخدام القوة لتأديب العصاة، وقامت المدفعية بقصف أسوار المدينة، فزادت جذوة المقاومة الشعبية وهب رجال الدين يصلحون الاسوار ويثيرون حماس المدافعين ولكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام جيش منظم ودخلت القوات المدينة في (١٣ كانون الثاني ١٨٤٣) وفقد الضباط سيطرتهم على الجند ووقعت حوادث نهب وقتل عديدة، ثم هدأت الامور بعد دخول نجيب باشا المدينة وبدأ بتنظيم الادارة، وتعيين حاكم للمدينة وقاض وخطيب ليدعو للسلطان في صلاة الجمعة.

ارتفعت المشكلة الى مصاف الازمات الدولية، وأرسل كانتج Canning السفير البريطاني في الاستانة معتمدا من قبله الى كربلاء هو الكوزلونيل Fairen كما طلب المبعوث الروسي في الاستانة المستر بوتنييف Boutenieff ان يقوم فارن بتمثيل الجانب الروسي ايضاً، وارسل السلطان العثماني مندوبا الى كربلاء وهو نامق باشا. وقد جاء في تقرير فارن Fairen ان القتلى لا يزيدون على خمسة آلاف قتيل منهم ثلاثة آلاف داخل المدينة معظمهم من العرب، أما الفرس فقد فروا من المدينة قبل اقتحام القوات العثمانية لها، وقتل ثلاثة من الهنود وواحد من الروس، وفقد حوالي (٢٠ـ٣٠) من البنجابيين ومن أهل كشمير. أما المبعوث العثماني فقدر عدد القتلى في المدينة بحوالي (٢٥٠) قتيلاً منهم (١٥٠) بينما خسر العثمانيون (٤٠٠) قتيل و(٢٠٠) جريح.

وقد وصف عالم الآثار البريطاني وليم كنت لوفتس William Kent Lofuts الذي زار كربلاء عام ١٨٥٣. أي بعد عشر سنوات من الحادثة آثار التدمير الذي أصاب المدينة بقوله: "فقد تهدمت الدور للسراي ولم يعد تشييدها فبقيت دلائل للخراب والتدمير وتعرضت المساجد الى الخراب والتدمير بصورة خطيرة فظلت آثار القنابل والشظايا واضحة للعيان في قبابها، وجدران البلدة التي لم تسد الفجوات والثقوب الحاصلة فيها ولم يسلم النخيل في البساتين من آثار القصف كذلك، فبقي عدد كبير منه تبدو الثقوب في جذوعه بارزة للمشاهدين، بينما احترق عدد آخر منه هنا وهناك وتجرد من سعفه".

١٨٦٤ كانت كربلاء قضاء تابعاً لسنجق الحلة، وقد ذكر المستر جون أشر، عضو الجمعية الجغرافية البريطانية، الذي زار المدينة في ١٨٦٤ بأنه أرسل الى قائممقام كربلاء ولذلك فتح له باب السور عند وصول قافلته بعد مغيب الشمس فمرت القافلة ما بين أزقة المدينة الضيقة التي كانت تضيء ظلمتها الفوانيس المعتمة التي بعثها القائممقام لتحمل امامه وقد وجد البلدة عندما تجول فيها في اليوم التالي، بأنها بلدة ذات حركة غير يسيرة ونشاط ملموس برغم عدم أتساعها، وكان كل شبر متيسر فيها من الارض مشغولاً بالبيوت المتراصة، أو التي كانت في مرحلة التشييد.

.وعند تعيين مدحت باشا والياً على العراق خلال الفترة (١٨٦٩ـ١٨٧٢) طبق نظام الولاية الجديدة، وهو نظام اداري أصبحت كربلاء بموجبه سنجقاً (لواء) تابعاً لولاية بغداد دون ان تتبعها أية أقضية أو نواح، وقام مدحت باشا بزيارة كربلاء على أثر شكوى ضد متصرفها اسماعيل باشا، فقام بعزله لأنه علم أنه كان سيء الادارة مرتشيا، وكذا بعض الموظفين ممن على شاكلته، وأمر بتقديمه للمحاكمة وعين بدلا عنه حافظ افندي. وقد وجد مدينة كربلاء صغيرة وشوارعها ضيقة ومزدحمة فأمر بانشاء محلة جديدة، وباع الاراضي الحكومية الى الاهلين لبناء الدور أو المحلات وصرف الواردات لتنظيم شوارع المدينة، وبني في عهده محلة العباسية الشرقية الحالية، كما هدمت أسوار المدينة القديمة الى حد كبير، وشرعت الحكومة في عام ١٨٧١ ببناء دوائر للدولة وبتوسيع سوق المدينة. وقد وصفت مدام ديولافوا التي زارت المدينة عام ١٨٨١ بانها "عبارة عن جامعة دينية كبيرة يقصدها طلبة العلم من كل حدب وصوب من انحاء العالم الاسلامي فيقضون فيها سني حياتهم.."

من كتاب (كربلاء في الذاكرة)

ذاكرة
"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
العدد (5650) السنة الحادية والعشرون - الاثنين (15) نيسان 2024
www.almadasupplementscom

الفاو.. التسمية والبدايات

طالب جاسم محمد الغريب

تسمية الفاو

اختلفت الآراء في أصل تسمية الفاو فهناك الرواية المحلية التي نقلها لنا حامد البازي مفادها ان سفينة اسمها (الفاو) كانت تابعة لأهل الديلم جاءت إلى تلك المنطقة لتحميل التمور وصادف ان هبت رياح شديدة أدت إلى غرق السفينة في نهر المهلبان فاخذ الناس يطلقون على المنطقة اسم الفاو فيقولون (محل غرق الفاو) ثم حذفت لفظة غرق لتبقى الفاو ثم سميت المنطقة كلها بهذا الاسم)، أما سالم المبادر الذي اعتمد على الدكتور مصطفى جواد فقد أكد ان كلمة الفاو كانت في الأصل الفأو وتعني الأرض المكشوفة للناظر أو الأرض المحصورة بين مرتفعين.

ان الدكتور القهواتي يثير الشك في هذه الاجتهاد لكون تسمية الفاو شاعت بعد بناء محطة التلغراف في عام ١٨٦١، وان شك الدكتور في محله إذ ان البريطانيين كانوا يطلقون على الفاو، باللغة الانكليزية، كلمة (FEW) أي انها تتألف من ثلاث كلمات فالحرف F يعني (Flat) أي المنبسط والحرف (E) ويعني (Earth) الأرض و(W) ويعني (Water) الماء ومن هنا فان كلمة (few) أي تعني الأرض المنبسطة على الماء وهذا المعنى قريب من مصطلح الدكتور مصطفى جواد ثم حورت الكلمة الى (Faw) ثم إلى(Fao).

هذا من ناحية التسمية أما لمن تعود الفاو هل كانت قديمة في نشأتها؟ أم كانت تابعة إلى منطقة المعامر التي تقع شمالها؟ وما اسمها قبل تسميتها بالفاو؟ كل هذه التساؤلات يمكن الإجابة عليها من خلال تتبع التكوين التاريخي لهذه المنطقة.

كانت الفاو تابعة إلى المعامر التي هي بمثابة مراعي إلى الأخيرة وكانت تسمى (بالدكاك) (٤) وملتزمة من لدن عائلة السعدون.

كما كان هناك اختلاف في التسمية اذ ثمة اختلاف في تاريخ وصولها الى عائلة الصباح فقد أشار أدموف خطأ عندما قال في كتابه: ((ان انتقال حيازة الأراضي في الفاو إلى عائلة الصباح عام ١٨٧١ عندما ساعدت العائلة الحملة العثمانية على الإحساء).

فقد فند الدكتور القهواتي هذا الرأي وأتى برأي أكثر واقعية يتركز على ان أراضي الفاو قد انتقلت حيازتها إلى العائلة قبل هذا التاريخ، وبالذات عام ١٨٣٤ وهو العام الذي التجأ فيه راشد ناصر السعدون إلى عائلة الصباح وما قدمته العائلة اليه من كرم الضيافة عندما كان مستجيرا بها فأهدى راشد مقابل ذلك احوازا ثلاثة جنوب المعامر إلى عائلة الصباح.

وقد أعتمد الدكتور القهواتي على الرواية المحلية التي نقلها الحيدري في كتابه عنوان المجد الذي فرغ من تأليفه عام ١٨٦٩ والذي أكد فيه ان ((الفاو.... كان من توابع المعامر التي هي ملك النجيب راشد السعدون والد الكريم ناصر فأكرمه راشد المشار إليه إلى شيخ الكويت والان جميع الفاو في تصرف شيخ الكويت).

كما يشير المؤلف في مكان اخر إلى ان ((المعامر كانت أرضا خالية عن الغرس فاشترى راشد السعدون والد ناصر من بيت المال وعمرها سنة ألف ومائتين وست وعشرون..... وأكرم الفاو على شيخ الكويت و هو اخر العمرات ويمتد إلى البحر)).

ولم ينفرد الحيدري في هذه الرواية فقد سبقه في ذلك خورشيد افندي الذي زار المنطقة خلال عامي (١٨٤٩ ـ ١٨٥٢) إذ أكد في قوله: ((ان مقاطعة المعامر على الضفة اليمنى لشط العرب والتي هي جزء من ولاية البصرة فيه تابع إلى إدارة الكويت)) ومن هنا يمكن الاستنتاج ان كلمة الفاو لم تأت في تقرير خورشيد وانما هي حديثة بالنسبة إلى زيارته.

كما اتفق معه في هذه الآراء الانصاري الذي انتهى من تقديم تقريره عام ١٨٦٩ إذ يشير الى ان ((ما يلي المعامر الفاو المنسوبة لأهالي الكويت وما بعده قرية الى جريان ماء البحر المالح الأجاج))

كما يبين لنا الرا شد اختيار عائلة الصباح أراضي الفاو

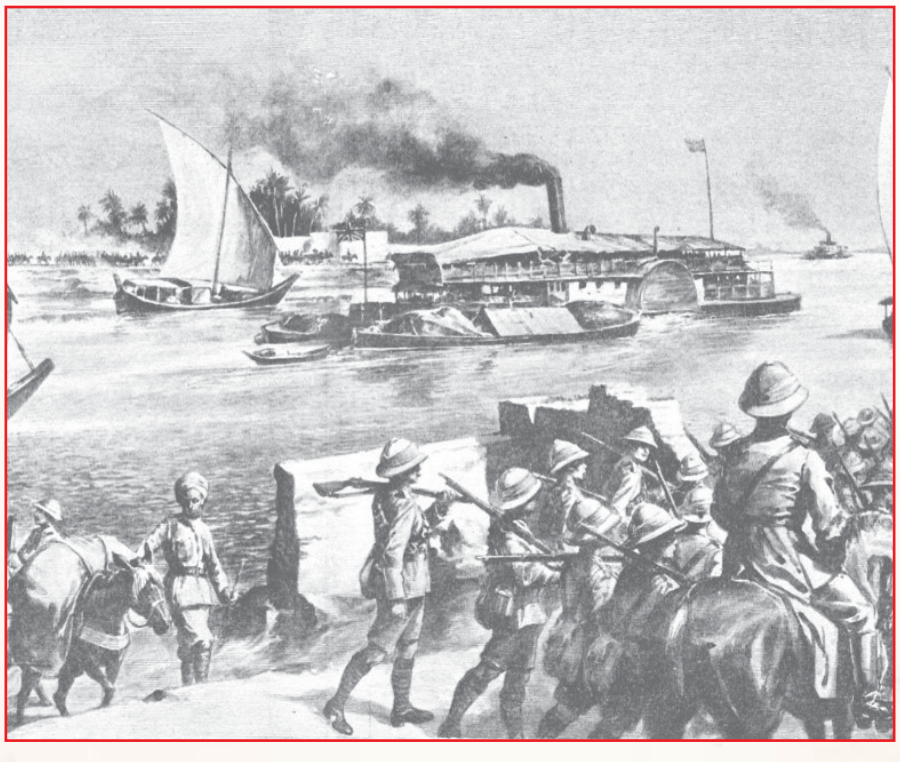

اذ يؤكد على انه: ((عرض عليه بعد ان رجع إلى مقره المعامر بأسرها أو ثلاثة احواز الفاو مكافأة من أفضاله فاختار الثلاثة الاحواز)).

من هنا فان ارض الفاو كانت خالية من الزرع وفي نظام الأراضي في الدولة العثمانية تعد من ممتلكات بيت المال منح الوالي في البصرة صلاحية ان يمنح الأراضي التابعة إلى بيت المال إلى من يرغب استثمارها من خلال نظام الالتزام وفي ضوء ذلك النظام منح الوالي العثماني أراضي المعامر إلى راشد السعدون وبذلك أصبحت المناطق الجنوبية من المعامر خاضعة إلى هذا الالتزام وعندما انتقلت الأراضي الجنوبية من المعامر إلى عائلة الصباح من خلال تنازل بيت السعدون أصبحت تلك الأراضي ملتزمة من لدن عائلة الصباح مباشرة مع السلطات العثمانية.

اقتراح انشاء فرع للقنصلية البريطانية

في نهاية عام ١٨٩٣ اقترح الرا ئد موكلر المفوض في بغداد تعيين موظف من محطة التلغراف البريطانية في الفاو ليكون ممثلا قنصليا لبريطانيا هناك ولاسيما في فصل تصدير التمور أي في الاشهر التاسع والعاشر والحادي عشر.

وكان السبب في طرح مثل هذه الفكرة هي الضغوطات التي كانت تتبعها السلطات العثمانية ضد السفن الهندية البريطانية التي تدخل شط العرب.

وقد وافقت الحكومة البريطانية على مقترح موكلر وخصصت مبلغ ٣٠ جنيها إسترلينيا في العام كمكافأة لهذه الوظيفة.

وفي عام ١٨٩٦ اصدر موكلر أمرا إداريا بتعيين منجافش التابع لقسم التلغراف الهندي البريطاني ليكون ممثلا قنصليا لبريطانيا في الفاو.

رفضت السلطات العثمانية هذا الإجراء وفي الثاني والعشرين من أيلول من العام نفسه قدمت الحكومة البريطانية مذكرة إلى السلطات العثمانية تؤكد فيها في حالة عدم موافقة الأخيرة فان السلطات البريطانية سوف ترسل سفينة حربية بريطانية إلى الفاو لحماية المصالح البريطانية، وفعلا بعد شهر من رفع المذكرة أرسلت السلطات البريطانية سفينة لابونج.

وفي الوقت نفسه سحبت السلطات البريطانية الطلب الخاص في انشاء فرع قنصلي بريطاني في الفاو بعد ان تلقت تأكيدات من الباب العالي بشان معاملة السفن الهندية البريطانية معاملة حسنة الا ان السفينة لابونج بقيت قرب الفاو حتى آذار عام ١٨٩٧ وبعدها سحبت بعد ان حققت الهدف الذي أرسلت من اجله وفي الوقت نفسه أقيم مركز مراقبة على شكل سفينة شراعية خشبية تحمل ثلاث بنادق بالقرب من الفاو.

عن شبكة البصرة الثقافية

مع الدكتور داود الجلبي.. ذكريات وطرائف طبيب رائد وباحث تراثي كبير

د. عمر الطالب

داؤد بـن محمـد سـليم بن احمـد بن محمـد الجلبي. كان ابوه واجـداده معروفين بالطب اليونـاني العربي وكان جده محمد جلبي واقفاً على علوم اخرى عدا الطب كالفلك والجغرافيا وغـير ذلك وله مؤلفات فيها. وعلم ابنه احمد الطب ثم تعلم حفيداه سليم وعبد الله الطب ايضاً وكانت داراهما تغص بالمراجعين من المرضى. ويعد داود الجلبي طبيباً لغوياً مؤرخاً ومحققاً وعالماً في الحيوان والنبات، تخـرج في الكليـة الطبيـة العسـكرية في اسـطنبول عام ١٩٠٩ طبيباً برتبة (يوز باشـي) رئيس. وخدم طبيباً في الجيش العثماني، ونقـل قبيل الحرب العالمية الاولى الى (ارضـ روم) فرفض الالتحاق وخشـي ان يغتاله الاتراك كما اغتالوا غيره وذلك لدعوته الاستقلالية للعراق. اسس نادي القلم سـنة ١٩١٨ واشـترك مع ساطع الحصري في تأسـيس الجمعيـة الثقافية العربية ببغداد واشـترك في هيـأة ادارة الجمعيـة الطبيـة بالموصـل عـام ١٩٢٤ عين طبيباً في الجيش العراقي عام ١٩٢٤ وانتخب في السـنة ذاتها عضواً في المجلس التأسيسي العراقي وعين عضواً في لجنـة تدقيق المعاهدة العراقيـة البريطانية. وموافقة الوطنية للدفاع عن حقوق العراق مشـهورة وهي مفصلة في محاضر جلسـات المجلس التأسيسي العراقي. واذكر انـه روى مـرة احـد موافقـة الصلبة في تحديـد حقوق الملك–فيصـل الاول آنـذاك–في الدسـتور وعارض داود الجلبـي الحقـوق الكثـيرة التـي اراد المتزلفـون للملـك منحـه اياها. وطلـب ان يكون الملك شبيها بملك انكلترا، أي تكون الحقوق الاساسـية للشـعب، مما اغضـب الملك فيصـل–وكان الجلبـي آنـذاك طبيبـه الخـاص– فأرسـل إليه يطلب مقابلته في قصـره، وأظهر الملك فيصـل الاول اسـتياءه من موقف داود الجلبي ونعى عليه هذا التشدد، فأعتـذر الجلبي بالقوانين الحديثة والدسـاتير الاوربية، ولم يتمكـن الملـك فيصـل مـن التأثـير علـى داود الجلبي وحملـه على تغيير رأيه، فأضـمر ذلك في نفسـه حتى أنه خشي على نفسه من طبيبه الخاص، فأعفاه من مهمته.

عـاد داود الجلبـي الى الجيشـ بعـد حل المجلـس ورقي الى رتبـة زعيم، وعـين مديراً للأمـور الطبية في الجيش العراقـي عـام ١٩٣٠، وشـغل مديرية الصـحة العامة ما يقـرب مـن سـنة بالاعـارة مـن وزارة الدفـاع الى وزارة الداخليـة. ثـم أعيـد ثانيـة الى مديريـة الامـور الطبية، واحيل على التقاعد عام ١٩٣٣ بسـبب موافقة السياسية المتشـددة. وعدم مهادنته للحكام، على الرغم من الصداقة التي كانت تربطه بمعظم السياسـيين الكبار، ولم يرضـه ان يتلاعبوا بمصير الشعب وتحت حماية القانون.

واذكـر انـه كان راقداً في المستشـفى الملكي عـام ١٩٥١– وكنت وقتها طالبـاً في الكلية–بعد اجراء عملية جراحية، ولمحـت وانـا في غرفتـه قـدوم نـوري السـعيد وجميـل المدفعي لعيادته، واخبرته بذلك، فطلب الي اخبارهم بعدم رغبته في زيارتهما، ونقلت رسـالته اليهما، ابتسم نوري السـعيد وقال للمدفعي: لم تغيره السـنون، وعنفني حين حملت اليه هداياهم من باقات الورد وطلب الي ان أسـعى وراءهما واردها اليهما، ولعل هذا الموقف المتشدد من كبار رجال الحكم في العراق جعله بعيداً عن الحياة السياسية على الرغم من أنه كان عضـواً في حزب العهد وله مواقف سياسـية متميزة في تأسـيس الحكم الوطني في العراق، وفي مسألة الموصل بالذات. عاد داود الجلبي الى الموصل يزاول مهنة الطب، وانصرف للقراءة والبحث، وعين عام ١٩٣٧ عضـواً في مجلس الاعيان(الشيوخ)، وبعد انتهاء الـدورة البرلمانيـة عـاد الى الموصـل لممارسـة عملـه في الطب، وكان طبيباً متميزاً يشـهد له بكفاءة نادرة في هذا المجال. وما زال الشيوخ من اهل الموصل يذكرون فؤائده وخدمته لسـكان المدينـة، ويتبادلون وصـفاته العلاجية التي لم تكلفهم غير القليل القليل من المال.

كان داود الجلبـي عالمـاً بالاضـافة الى براعتـه في الطب واهميته بالنسـبة للحياة السياسية في العراق، فانتخب في عدد من الجمعيات الثقافية والمجامع العلمية، فأنتخب رئيساً لجمعية الثقافة العراقية، وعضواً في لجنة تاريخ العراق،وعضـواً في لجنـة التأليـف والترجمة والنشـر، وعضـواً في المجمع العلمي العربي بدمشـق وعضواً في مجمـع اللغـة العربيـة في القاهرة،وعضـواً في المجمـع العلمي العراقي.

وهـو الى جانـب كونه عالمـاً باللغة العربيـة يجيد التركية والفرنسـية والالمانيـة والفارسـية والسـريانية اجـادة تامة الى جانـب قراءاته في اللغـات الانكليزية والعبرية واليونانيـة واللاتينيـة والايطاليـة. كتـب داود الجلبي بحوثاً عدة نشـرها في الصـحف والمجـلات العربية، وله ولع خاص في البحث عن المصطلحات الطبية، ووضع فيها مـالم يوضـع في العربية لحد الآن، ودخلت المصـطلحات الطبيـة التـي وضـعها في العربيـة الى كليـات الطب في الجامعات العربية، وقد صـدر له بالاضافة الى ذلك سبعة كتـب: (١)اصـلاح حروفه دائر عام ١٣٢٦هـ وهو باللغة التركية ومطبوع في اسـطنبول. (٢)مخطوطات الموصل عـام ١٩٢٧، مطبعـة الفرات، بغـداد. (٣)الآثـار الآرامية في لغـة الموصـل العاميـة، عـام ١٩٣٥،مطبعـة النجـم، الموصـل. (٤)كتـاب الطبيخ لمحمد بن الحسـن بن الكريم البغـدادي، المكتـوب في ٦٢٣هـ، حققـه الجلبي ونشـره عام ١٩٣٤،م. ام الربيعين، الموصـل. (٥)رسالة محمد بن زكريا الرازي، عام ١٩٤٨، منشورات مجلة الجزيرة. (٦) كتـاب الفند يداد، نقله عن الفرنسـية عـام ١٩٥٢، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصـل (٧)كلمات فارسـية مسـتعملة في عامية الموصل وفي انحاء العراق، عام ١٩٦٠، مطبعة العاني، بغداد، وله عشـرة كتب مخطوطـة لم تطبع بعد: (١) جـدول في الفرائض صـنفه عام ١٣٤٥هـ (٢)تاريخ اتابكة الموصل (٣)تاريخ أربل (٤)تاريخ الدولة الارتقية (٥)ذيـل زبـدة الآثارية الجليـة من تاريخ البـلاد العربية منذ عـام ٩٢٠هـ، أي منذ عهـد اسـتيلاء العثمانيين على الاقطـار العربية في عهد السـلطان سـليم الاول (٦)زبدة الآثـار الجلية–ملخـص تاريـخ الموصـل منذ سـنة ٦٤٩ (٧)معجـم مصـطلحات امراض الجلد (فرنسـي–عربي) (٨)المفردات الاعجمية المسـتعملة في الموصـل اليونانية واللاتينيـة والتركيـة... الـخ (٩)صـفحات مـن تاريخ الموصـل–مترجمة عـن الفرنسـية لـلأب لنزا–(١٠)رحلة اوليفر(مترجم عن الفرنسـية) وتـوفي داود الجلبي عام ١٩٦٠ أثر اصـابته بنوبة قلبية عـن عمر تجاوز الثمانين بسنة.

اهتـم داود الجلبـي اهتمامـاً كبـيراً بالـتراث العربـي الاسـلامي، وجـاء اهتمامه هـذا نتيجة اهتمامـه بالدين الاسـلامي وسـيرة الرسـول (صـلى اللـه عليه وسـلم)، وكثيراً ما كان يحدث الاسـرة عن اعمال الرسـول الكريم الجليلـة وهو يكـن له اسـمى آيـات الاحـترام والاكبار، وكان يشجعنا–ونحن صغار–على قراءة السيرة النبوية الشـريفة وسـمعته كثـيراً وانـا يافع–يتحـدث بإكبـار وتعظيم عن الرسول الكريم وصحبه الميامين.

وسألته مرة عن المخطوطات القيمة التي جمعها فاخبرني بقصـص طريفة عن جمعه المخطوطـات اذكر منها واحدة خشية الاطالة فقد كان يمر في طريقه من داره–الواقع في محلة المكاوي–الى عيادته الواقعة في شارع نينوى، قرب (السرجخانة) بازقة تمر قرب حيّ الجامع الكبير، وشاهد ذات مـرة امـرأة توقد (تنورهـا) بمخطوطات وضـعتها في سلسـلة كبـيرة (طبيقيـة) أرعبـه الموقـف وسـاومها علـى الثمن واشـترى مـا معها من مخطوطـات (بروبية) واحـدة. ووجد فيها نفائس نادرة. هذه حادثة واحدة من عشـرات الحوادث التـي تبين لنا كيف جمـع مخطوطاته النـادرة، وهـي كما صـنفها الدكتـور فيصـل ويدوب في مكتبـة داود الجلبي الوقفيـة في الطيران–ثم انتقلت الى مكتبة الاوقاف في الموصـل، كما يأتي: سـبع مخطوطات تتعلـق بالقرآن الكريم، ثلاث مخطوطـات في الفقه، اربع في العقائـد الاسـلامية، ثـلاث في المواعـظ والعبـادات، اربـع في التصـوف، عشـر في الاديـان والمذاهب، خمس عشـرة في العلوم الآلية، خمس في الهيئة والتقويم،اربع في الجغرافيـا والرحلات،عشـر في التاريـخ، خمس في التراجم، اربعـون في الادب، واحدة في الفنون الجميلة، سـت في المنطق والفلسـفة، ثلاث في الحيـوان والنبات، اثنتـان في الكيميـاء، احدى واربعـون في الطب، خمس في الصيـدلة، اثنتـان في التربية، ثلاث عشـرة في علوم غـير مثبتـة، اربـع مخطوطـات في كتـب شـتى، وبلغت مجاميعه ثلاثاً وسـبعه مجموعة، ويكون العدد الاجمالي للمخطوطـات التي حوتها مكتبتـه الكبيرة–وتعد واحدة مـن اكـبر المكتبـات الشخصـية في الوطـن العربـي– اثنتين وسـبعين ومائتي مخطوطة، بعضـها نادر ويمثل المخطوطة الوحيدة في العالم.

ودفعـه حرصـه علـى المخطوطـات المبعـثرة في مدارس الموصـل ومكتباتهـا الى حصـرها وتصـنيفها ووضـعها في كتـاب مهم جداً هو كتـاب (مخطوطات الموصـل) عام ١٩٢٧، ويبين الاسـباب التي دفعته لتسجيل وتثبيت هذا التراث القيم.

عن موسوعة اعلام الموصل في القرن العشرين

نص نادر

تاريخ الديوانية يكتبه شيخ عشائري

د. حسين علي محفوظ

قد يظن الاكاديميون ولاسيما الجدد منهم في بدايات الطريق ان البحث وقف على المختصين الجامعيين، وان المعرفة لا تتجاوز طلبة العلم المنهجيين، وان خريجي المدرسة الجديدة وحدهم هم العلماء والادباء، ولا ادري لعل الحدود بين الناس والفروق غير الطبيعية بين هذا الجيل وذاك هي التي صنعت هذه الاعراف.

والحق – ان في العامة من الخبايا امثلة قد لا يوجد نظائرها في الخاصة، وان بين العوام من لا تظفر باشباهه في غير قليل من جماعة العلماء احيانا، واهم ما تحسه في المحيط العامي جو يخلو من المظاهر الفتالة التي قد تشبه الحسد تسيطر بعض الاحيان على العلماء ويحب بعضهم ان يعتبر هذه الظاهرة من صفات من ينتسب الى العلم في القديم والحديث.. وامثلتها كثيرة اليوم وبالامس.

اخرج العراق العظيم – على كل حال – من العامة والخاصة، من هؤلاء واولئك انموذجا صالحا يفخر به الفاخر ويعتز به المتمثل.

ولعل من خيار اولئك – اعني غير المنهجيين من الباحثين المطلعين المتتبعين الافاضل – المرحوم الحاج وداي العطية.

ولد (رحمه الله) في الشامية سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢م) وانه سكن كربلاء في مطلع العقد الخامس من القرن الماضي، منذ سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢م)، وان نسبه هكذا: "الحاج وداي عطية آل غضبان آل مشيمش"، وكلمة (آل) ولفظة (أل) و(ابن) بمعنى واحد عند عشائر الفرات والجنوب.

وهو من رؤساء الحميدات في قضاء الشامية، ومن اهم عشائر هذه البلدة الاخرى: بنو حسن، وآل علي، وآل بدير، وآل فتلة، والكرد، والعوابد، وآل شبل، والخزاعل، وآل زياد، وكعب، وجبشة، وآل عياش، وبنو سلامه، وخفاجة، اضافة الى السادات وهم (٢٩) بطنا وعشيرة.

سكنت الحميدات ارض الرغيلة وما يجاورها في الشامية منذ زمن غير قرب، وهم من بني مالك القبيلة العربية المعروفة في تاريخ العراق والمنتفق المعرفة في الاصالة والنسب والمشيخة. وقد ذكر (بني مالك) العلامة المحقق المؤلف العبقري النسابة المرحوم السيد مهدي القزويني المتوفي سنة ١٣٠٠ هـ في كتبه (انساب القبائل العراقية).

وقد ذكر (بني مالك) ايضا المرحوم الاستاذ المحامي المؤرخ الباحث عباس العزاوي في الجزء الرابع من (عشائر العراق) كما خصص فصلا للحميدات اشار فيه الى آل مشيمش من بيوتات الرئاسة، والاخوة الاربعة الاعلام الاعيان الرؤساء من هذا البيت وهم الحاج وداي واخوانه المشايخ الكرام الحاج رايح، والحاج سوادي، وابا ذر، وعبد الكاظم.

كان المرحوم الحاج وداي علامة نسابة راويا واعيا محيطا بالاخبار والروايات والنقول والنصوص والقصص والانساب والسلاسل والطبقات والوفيات.

روى الحاج وداي جانبا من الاخبار والحوادث والمعلومات عن العديد من المعمرين والمطلعين والمتتبعين احصى منهم في آخر تاريخ الديوانية (٩٥) رجلا. ذكر اسماءهم وانسابهم وامكانتهم واعمارهم وحدد تواريخ وفياتهم. وهو فصل في غاية الاهمية ونهاية الامتاع.

الف الحاج وداي عددا من الكتب المهمة عرفت منها تاريخ (الحوادث والوقائع المهمة في الفرات) و(عشائر الفرات) و(مشجرات العلويين ورؤساء العشائر في الفرات) و(العشائر والاسر العلوية في الفرات) وكتاب (وفيات الرؤساء والزعماء) ومجموعات مشجرة في الانساب في مجلدات ودفاتر كثيرة ضخمة، وقد طبع من مؤلفاته كتاب (تاريخ الديوانية قديما وحديثا) سنة ١٩٥٤ في ٣٩٦ صفحة، وكراسة (على هامش العراق بين احتلالين) في نقد الجزء الخامس من كتاب (تاريخ العراق بين احتلالين).

اهتم الحاج وداي العطية بالفرات، والفرات يمثل جانبا مهما جدا من تاريخ الامة وتاريخ العراق وحضارة العراق. وقد فاز سكانه بمعانقة البادية والجزيرة والصحراء. وهو صلة العراق بجزيرة العرب ام العراق.

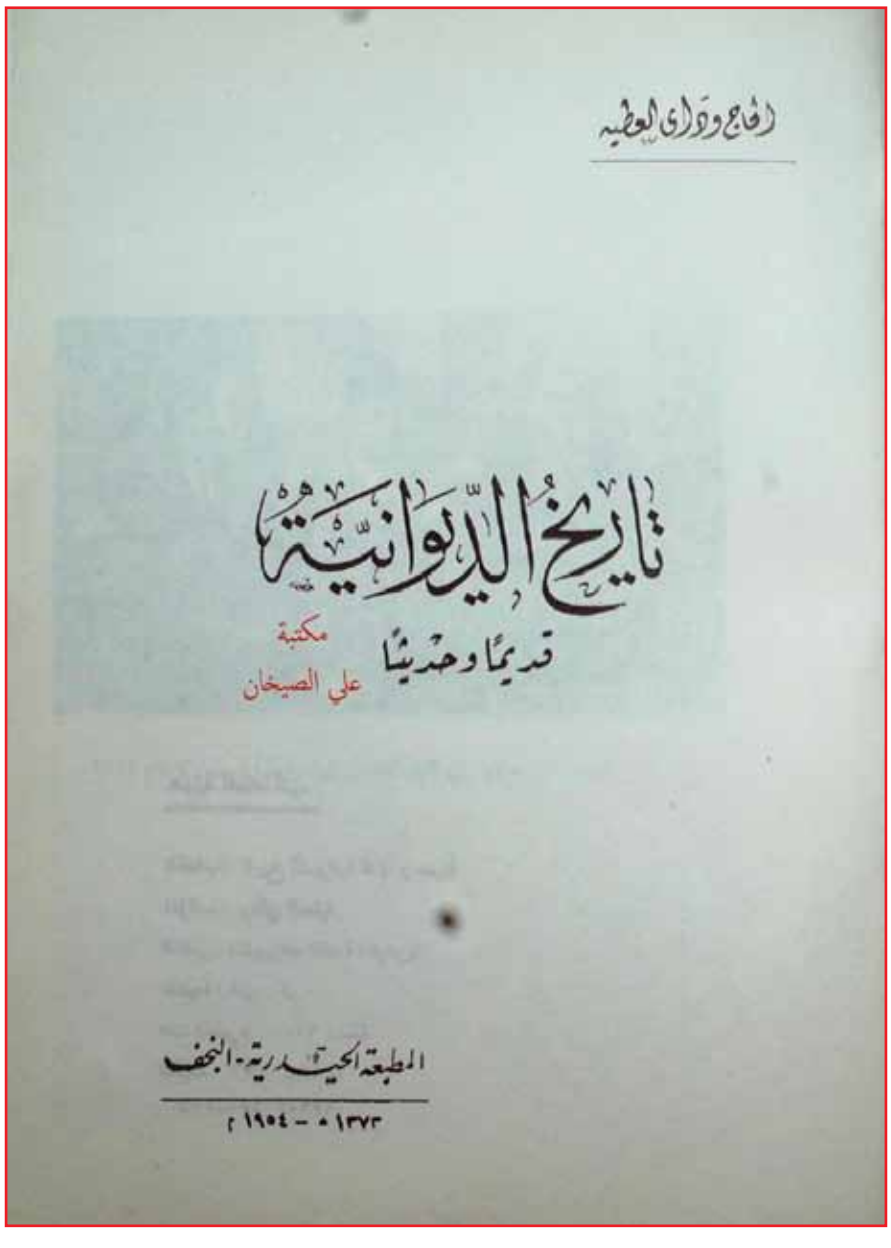

وقد قامت على ضفتيه عشرات المدن والقرى المباركة والبلدان يعود بعضها الى تاريخ العراق القديم. ويعود بعضها الى بدايات الفتح وايام الدول العربية والاسلامية.

تعتبر مؤلفات العطية في تاريخ الفرات مخازن عامرة بالمعلومات وارشيفا حافلا بصور الوثائق والاسانيد والتواريخ، وبحورا زخارة تطمو بالاخبار وتزدحم بالحوادث والمعارف والنقول يحتاج الباحث والدارس والمتتبع والمؤلف والمؤرخ الى كل حرف والى كل سطر والى كل فقرة فيها.

والحق ان كتاب (تاريخ الديوانية) يعد انموذجا كاملا للتواريخ المحلية، وقد ملأه المؤلف بسيل من المعلومات لو ان جماعة من الباحثين فرغوا لها ما استطاعوا جمع بعضها في عشرات السنين.

استوعب الكتاب تاريخ البلد فحقق لفظة (الحسكة) اولا. وهي اسم الموضع الذي تقوم عليه (الديوانية) الحالية وبين اخبار الحسكة هذه في المصادر والمراجع، وبين ان الكتب وصفت الحسكة بانها من احسن ضياع العراق.

في سنة ١١١٧ هـ، ١٧٠٥م. وتابع تريخها اعتبارا من اول القرن الثاني عشر واليها بنسب (الشعر العامي) المعروف الذي يسمى (الحسكة).

يعود تاريخ الديوانية في هذا الكتاب الى زمن حمود آل حمد المتوفي سنة ١١٩٢ هـ، ويرجع تاريخ رئاسته الى حوالي سنة ١١٦٠ هـ و(الديوانية) في كلام الاعراب هي المضيف المبني بالاجر والطين، والمضيف عندهم لابد ان يتخذ من القصب والحصر.

وقد بين ان الاشارات الى الديوانية في الكتب والرحلات من سنة ١١٦٨ هـ - ١٧٥٤ م. وكان اسمها الاول (ديوانية خزاعة) ثم جردت عن الاضافة واكتفى بلفظ الديوانية.

فصل المرحوم العطية تاريخ الديوانية في ايام الدولة العثمانيةن وفي زمن الاحتلال البريطاني، وفي العهد الوطني.

والحق – اني لم ار كتابا يقارب هذا الكتاب في كثرة المعلومات والوثائق والانساب والاخبار. ويمثل فصل الاسر والبيوت نهاية الدقة والاحاطة والاستقصاء والتتبع الشامل العميق.

واثبت المؤلف المصادر في قائمة مفصلة تحتوي على عشرات الكتب (المخطوطة والمطبوعة) والوثائق والتواريخ والمذكرات والمراسلات والمجاميع والمجلات والسالنامات والدواوين والجرائد القديمة والالواح والسجلات اثبتها في (٨٣٥) فقرة فضلا عن اسماء الاشخاص الذين سألهم واخذ عنهم اطرافا من معلومات الكتاب.

وانا اتمنى ان تخصص كل مدينة في العراق بكتاب مثل هذا الكتاب في الدقة والصدق والاحاطة والاستيعاب والمفاكهة والامتاع.

ومن الفوائد التي نقلتها عن الحاج وداي العطية ومن اوراقه تاريخ "سنة رزنة" وهو ١٢٦٥ هـ) وتاريخ "سنة برشه" وهو (١٢٨٨ هـ) والعرب – منذ القديم – يؤرخون بالايام والوقائع والسنين ومن ذلك عام الفيل، و(سنة الامر) وهي السنة الثانية من الهجرة لانه امر فيها بالقتال، و (سنة التمحيص) وهي السنة الثالثة من الهجرة، و(سنة الترفيه) وهي السنة الرابعة من الهجرة، و(سنة الاحزاب) وهي السنة الخامسة من الهجرة، و(سنة الاستئناس) وهي السنة السادسة من الهجرة، و(سنة الاستغلاب) وهي السنة السابعة، و(سنة الفتح) وهي السنة الثامنة، و(سنة حجة الوداع) وهي السنة العاشرة، و(سنة الوفاة) وهي السنة الحادية عشرة.

توفي الحاج وداي العطية (رحمه الله) ظهر يوم الاحد ١٤ شهر اب سنة ١٩٨٣ عن ٩٢ سنة.

وترك خزانة عامرة بنخبة من الكتب النادرة والمؤلفات المعتبرة، والمصادر القيمة، وعددا من المؤلفات النفيسة تحتوي على اصول مهمة جديرة بالاعتماد، ووثائق فريدة قمينة بالتوثيق.

ج. العراق ١٩٥٨

العيد في الزمن الجميل

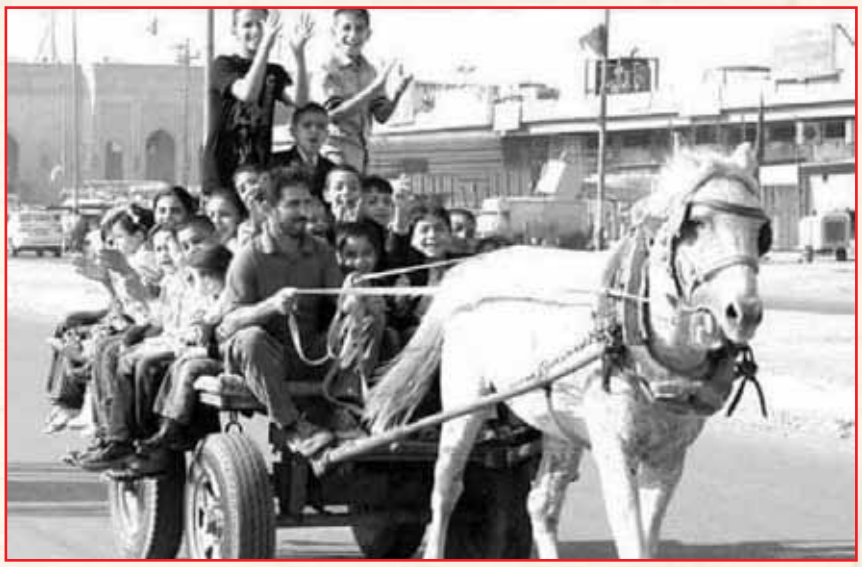

عبد الكريم الحسيني

كما لكل شعوب العالم اعيادها فالمسلمين الذين يملئون الارض اعيادهم ولهذه الاعياد طقوس واستحضارات وعادات ونكهة خاصة وخصوصا في فترات الخمسينات عندما لم يكن هذا التطور الحالي موجود ولا وسائل اللهو التي غزت البلدان.

فلم يكن للذين عاشوا تلك الفترة سوى ما يقومون به بانفسهم من متع ولهو وما متيسر في المدينة او القرية.

كان العيد في بغداد عندما كانت صغيرة ومحصوره في كرخها بين الجعيفر والصالحية والكريمات وفي رصافتها بين الاعظمية والباب الشرقي وقليلا الى البتاويين ولم تكن في بغداد في فترة الخمسينات مدن العاب كما هي الان وكانت كل منطقه تنشأ لها مدينة العابها الخاصة بها وتكون خلال الاعياد فقط وكانت المنتزهات والسينمات هي الوسائل الاخرى للفئات العمرية التي فوق سن العاشرة اما ما دون ذلك فمكانه في الالعاب التي سنأتي على ذكرها.

قبل العيد بايام تنشط العائلة لغرض التسوق وخاصة الملابس والاحذية للاطفال ولام البيت وكانت حصة الاكثريه من الصبيان دشداشه بوبلين (جوبان) في الصيف او دشداشه بازه في الشتاء مع صندل او نعال صيفا او حذاء شتاءا وكذلك الحال للفتيات ولكن بنقشن بناتي،، بعض العوائل كانت تقتني لاولادها ملابس حديثه نوعا ما مثل البنطرون مع القميص والحذاء والبلوز او الجاكيت او القمصله ولكل عائلة حسب امكانياتها والمهم ان يظهر الجميع صباح العيد بملابس جديدة ايا كانت نوعها او شكلها..

تأتي ملابس العيد وكثيرا ما تجلب ليلة العيد وخاصة من الخياط او الخياطة ويستلمها الاطفال ويحتفظون بها تحت وسائدهم او اسرتهم وياويل الذي يرتديها قبل العيد فان العيد (يزعل عليه..... !) واكثر الاطفال يبيتون تلك الليلة وعيونهم مفتوحة بدون ان يغالبها النوم بانتظار الصباح لكي يرتدون ملابسهم وتبدا معهم جولة المرح والفرح والسرور..

كانت عادة اهل بغداد ان يقوموا بزيارة المقابر عند الفجر او عند اول الصباح لقراءة القرآن الكريم واشعال الشموع واعواد البخور والدعاء ويذهب الرجال الى صلاة العيد وخلال الصلاة تتم التهاني بينهم والمصالحه ان كان بين احدهم خصام وعند عودة رب الاسره الى البيت تستقبله زوجته بالتهاني والاولاد يقبلون يديه ومن ثم يقوم الاب بتسليم العيديه (مبلغ من المال) لينطلق الاولاد الى الاعمام الاخوال لتهنأتهم واستلام العيديه ثم الانطلاق الى نزهتهم المنتظرة...

وهنا ينقسم الاولاد الى قسمين منهم من يذهب الى المراجيح ودولاب الهوا وركوب العربات التي تجرها الحمير او ركوب الحمير او الاستئناس بلعبة الجوبي على انغام الفرقة الشعبية التي تتالف من (المزمار والطبل وفي بعض الاحيان الجنبارات) ويقوم اللاعبين باللعب بالسيف والدركه (الدرع) بحركات رشيقه جميلة.

اما القسم الثاني من الاولاد فينطلقون الى السينما وهنا تبدأ صعوبة الاختيارات فسينما النجوم تعرض فلمان في آن واحد (فلاش كوردن + طرزان) واخرون يفضلون الذهاب الى سينما ميامي لانها تعرض فلم عصابة بطل الفلم ابن الحداد (شين) واخرون برأي آخر وهم في النهاية سوف يشاهدونها كلها خلال ايام العيد..

تمتلىء صالة ابو الاربعين (سعره اربعين فلس) بالصبيان ويبدأ العرض بالسلام الملكي حيث يقف الجميع احتراما للملك ومن ثم تعرض الاخبار (موفي تون) وفلم كارتون ثم استراحه يسمح للرواد بالخروج لشراء الصمون والعنبه والببسي والكرزات

والحلويات ثم العوده بواسطة بطاقة (الخروج)،، يستمر الاطفال بالتجول من سينما الى اخرى لمشاهدة كل ما معروض من افلام مثل طرزان وشيته وافلام تاريخية مثل الفاتح العظيم واتيلا وفلاش كوردون وافلام المبارزه بالسيوف وغيرها

وقد يداهمهم الجوع ليتناولوا الطعام اما سفري من احد بائعي الطعام (ابيض وبيض) وعنبه او مطعم (تمن ومرق) واذا كان الجيب ثقيل تكون الوجبه كص نص نفر. يعود الاطفال الى البيت عند العصر او الغروب وهم مهدودين من التعب والملابس الجديده معفره بالتراب وبقايا العنبه والطماطه حتى تستلمهم الام لتأخذ الملابس وتغسلها لكي تكون جاهزه لليوم التالي..

اما الفتيات فتكون نزهتهن في الالعاب والمراجيح وركوب العربات التي تجرها الخيول وهن يغنين الاغاني الشائعه او ركوب الزوارق النهريه والتمتع بجوله في نهر دجله..

اذكر في عام ١٩٥٣ دخلت بغداد اول مدينة العاب وهي بالاحرى اقرب الى السيرك المتجول لانها خليط بن هذا وذاك وكانت من الشقيقه مصر ونصبت مخيمها في منطقة كهرمانه حيث كانت المنطقه التي تقع خلف ملهى علي بابا خاليه واستغلها السيرك لهذا الغرض. لاول مره يشاهد الاطفال الصراره (كراسي معلقه تدور بالكهرباء) ولاول مره يرى الاطفال لعبة القوه وهي دفع ثقل الحديد على سكه ومشاهدة الرجل الفضي وهو رجل يطلي نفسه بدهان فضي ويستعرض عضلاته وكذلك دولاب الهواء الذي يعمل بالكهرباء والعاب نفخ النار من الفم وتداول القناني باليد الى الاعلى والرقص مع الافاعي وهذه الالعاب هي ما يقدمه الاخوه المصريين في مايسمى عندهم (المولد) والليله الكبيره وكان ذلك العيد الذي فتح فيه المولد مختلفا عن غيره من الاعياد.

كانت الاعياد فرصه للتصالح وتنقية النفوس والاجواء للكبار وفرصه ترفيه وانطلاق وتنوع للاطفال بعد اشهر من التقيد في المدرسه والبيت والمحله..

كانت الاعياد جميله ولعلنا كنا نراها هكذا لصغر اعمارنا او لان الحال قد تغير ودخلت الكثير من الامور التي لم يتح للكثير منا تجربتها لمعرفة حلاوتها ولعلها جميله ايضا بل قد تكون اجمل في نفوس اطفالنا مما كنا عليه انذاك..

عن موقع (الكاردينيا)

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5650) السنة الحادية والعشرون -
الاثنين (15) نيسان 2024

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون